مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية . مج 16 ع.2 جويلية 2025/ - محرم 1447ه ص ص: 157 - 182
V 16 N°2 (July, 2025), p 157 - 182

❁ أهم العقائد في الدِّيانة الكونفوشية وعَلاقتها بالأخلاق

(عرض وتحليل)

The most important doctrines in the Confucian religion And their relationship to morality

(presentation and analysis)

✍ د. عامر عبد الفتاح جود الله*
جامعة النجاح الوطنية –فلسطين
amerjodallah@najah.edu

تاريخ الإرسال: 2024/06/22 تاريخ القبول: 2025/06/23 تاريخ النشر: 2025/07/01

ملخص:

يسلط هذا البحث الضوء على أهم العقائد في الدِّيانة الكونفوشية وعلاقتها بالأخلاق والتي بات اسم الصين ملازماً لها.

ويبين البحث الحالة الدينية والاجتماعية والسياسية قبل ظهور كونفوشيوس والعصر الذي ظهر فيه، حيث كانت الاضطرابات السياسية والاجتماعية سببا مباشراً في توجه كونفوشيوس نحو إصلاح الإنسان بالأخلاق، ومن هنا اهتمامه بالسياسة؛ لأنَّ الغاية من السياسة كما يرى هي إصلاح الأخلاق.

ويوضح البحث المبادىء والأفكار الأخلاقية التي تقوم عليها الكونفوشية وهي:

إنسانية الأخلاق، ومبدأ التبادلية، وتسمية الأسماء بمسمياتها.

وقد ناقش البحث عَلاقة الأخلاق بالعقيدة في الكونفوشية، بدءا بكونفوشيوس وانتهاء بتلاميذه، وبيان موقف الإسلام من ذلك.

---

* المؤلف المرسل

وأهم النتائج التي توصل إليها البحث:

- لم يربط كونفوشيوس عموما فلسفته الأخلاقية بالدِّين والمعتقدات الصينية القديمة.
- مزجت الكونفوشية بين الفلسفة الأخلاقية والمعتقدات الصينية القديمة، من خلال تلاميذ كونفوشيوس، وخاصة ما له علاقة بالأخلاق منها.
- من أهم المعتقدات التي ربطها تلاميذ كونفوشيوس بالأخلاق الأحداث الكونية، حيث جعلوها تابعة للأخلاق، فالزلالزل والبراكين والأمراض سببها عندهم سوء الأخلاق، والخير والصحة والسعادة سببها حُسن الأخلاق.

الكلمات المفتاحية: العقيدة، الأخلاق، الديانة الكنفوشية

Abstract:

The research shows the religious, social and political situation before the emergence of Confucius and the era in which he appeared, as the political and social unrest was a direct cause of Confucius's tendency towards reforming mankind through morals, hence his interest in politics. Because the purpose of politics, as he sees it, is to reform morals.

The research clarifies the ethical principles and ideas on which Confucianism is based, which are:

Humanistic morals, the principle of reciprocity, and calling names by their proper names.

The research discussed the relationship of ethics to the doctrine of Confucianism, starting with Confucius and ending with his disciples, and clarified Islam's position on that.

The most important findings of the research:

- Confucius did not generally link his moral philosophy to ancient Chinese religion and beliefs.

Confucianism mixed moral philosophy with ancient Chinese beliefs, through Confucius's disciples, especially those related to morality.

Among the most important beliefs that Confucius's students linked to morals were cosmic events, as they made them subordinate to morals. For them, earthquakes, volcanoes, and diseases were caused by bad morals, and goodness, health, and happiness were caused by good morals.

Keywords: doctrine, ethics, Confucian religion.

مقدمة

الحمد لله الذي كرَّم الانسان ذكراً وأنثى، فقال في كتابه الكريم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ (الإسراء:70)، الحمد لله الذي هدانا لدين الإسلام ونوره، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، **أما بعد:**

فقد امتن سبحانه على عباده بدين الإسلام، هذا الدِّين الخاتم الكامل الشامل لجميع مناحي الحياة الدينية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والسياسية، واعتبر سبحانه هذا الدين نِعمة تامة تستحق الشكر والرضا يقول سبحانه وتعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة: 3).

ومن وجوه إدراك كمال نِعمة الإسلام علينا دراسته مقارناً بالأديان الوضعية أو الأديان السماوية المحرفة ففي ذلك فوائد عدة منها:

- أنْ يزداد إيمان المسلم بنعمة الإسلام ويرى عظمتها عندما يرى ما وصلت إليه هذه الأديان من تيه وخرافات في عقائدها وأفكارها.
- أنْ تكون هذه الدراسة مِفتاحا لفهم الآخر والحوار معه، فالآخر موجود شئنا أم أبينا، وتزداد الحاجة لفهم هذا الآخر وعقائده وأفكاره مع انفتاح العالم على بعضه بما وصلت إليه البشرية من وسائل اتصال.

ويسلط هذا البحث الضوء **على عَلاقة الأخلاق بالعقيدة في الديانة** (الكونفوشيوسية) أُمِّ الديانات الصينية، والتي سادت كل الديانات السابقة والمعاصرة في الصين وأصبحت مرادفة لكلمة صيني فهي: "ليست مجرد معتقد يقر به المرء أو يلفظه، فهي قد غدت جزءا لا يتجزأ من المجتمع الصيني وأصبحت المصنفات الكونفوشيوسية التراث الفكري للشعب بأسره"[1]، فأكثر سكان الصين يدينون بها، مما جعل تراث الصين وحضارتهم

[1] د. فؤاد محمد شبل: **حكمة الصين دراسة تحليلية لمعالم الفكر الصيني منذ اقدم العصور**، دار المعارف، ط1، 1998م، (63/1).

يتصل بها، وهي ترجع لمؤسسها كونفوشيوس الذي ظهر في القرن السادس قبل الميلاد داعياً إلى فلسفته في الأخلاق والمعاملات والسلوك القويم[2].

مشكلة البحث: يمكن تحديد مشكلة البحث من خلال الأسئلة الآتية:

1. ما أسباب سيطرة الأخلاق في الكونفوشية وسيادتها قديماً وحديثاً على المجتمع الصيني؟
2. ما العلاقة بين الأخلاق والعقيدة في الديانة الكونفوشية؟
3. ما موقف الإسلام من عَلاقة الأخلاق بالعقيدة في الديانة الكنفوشية؟

أهداف البحث: تتلخص أهداف البحث في النقاط الآتية:

1. بيان أسباب سيادة الأخلاق الكونفوشية في المجتمع الصيني.
2. بيان العَلاقة بين أهم العقائد في الديانة الكونفوشية والأخلاق.
3. توضيح موقف الإسلام من عَلاقة الأخلاق بالعقيدة في الكونفوشية.

ثالثاً: أهمية البحث: يمكن إجمال أهمية البحث في الآتي:

تأتي أهمية دراسة موضوع العَلاقة بين الأخلاق والعقيدة في الديانة الكونفوشيوسية من **مزجها** بين الفلسفة الخُلقية والتعاليم الدينية، حيث نجح كونفوشيوس في القرن السادس قبل الميلاد بصياغة ما كان يسود الصين من أفكار وفلسفات، لهذا التزمها أهل الصين ولا يزلون على مدى 25 قرناً، وبات يصعب الحديث عن الصين دون الكونفوشية بل كانت مبادئها أساس التعليم والتشريع ومادة امتحان دخول الوظائف العامة إلى حين قيام الشيوعية في الصين[3].

منهج البحث: يقوم هذا البحث على المنهج الاستقرائي، ثم المنهج التحليلي، حيث قام الباحث بجمع المادة المتعلقة بالموضوع، ثم تحليلها وشرحها.

---

[2] مانع الجهني، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، ط5، دار الندوة العالمية، السعودية، 2003م، (748/2).

[3] الشهراني، ناصر، **الكونفوشيوسية، ماضيها حاضرها، موقف الإسلام منها**. مركز الملك فيصل للبحوث، ط1، 1432هـ، ص14.

الدراسات السابقة:

تعدَّدت الدراسات التي تناولت الديانة الكنفوشية، وفلسفتها الأخلاقية، لكن لم أجد دراسة تناولت علاقة الأخلاق بالعقيدة في الكنفوشية، وسأشير فيما يلي إلى أهم هذه الدراسات:

1- **الكونفوشية: ماضيها، حاضرها، مستقبلها، موقف الإسلام منها**، للدكتور ناصر الشهراني، وهي رسالة دكتوراة منشورة في جامعة ام القرى، سنة 1431هـ، تناول الباحث فيها الكنفوشية وعقائدها وأفكارها، لكن لم يتناول بالتفصيل عَلاقة الأخلاق بالعقيدة في الديانة الكنفوشية.

2- كتاب: **مقارنات الأديان الديانات القديمة**، للدكتور محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ط1، 2006م، تناول الشيخ محمد أبو زهرة باقتضاب أهم المعتقدات الكنفوشية، والفلسفة الأخلاقية، دون بيان العَلاقة بينهما.

3- . كتاب: **مقارنة الأديان**، د. محمد الخطيب، دار المسيرة عمان، ط3، 2014م، تناول د. الخطيب في كتابه أهم المعتقدات الكنفوشية، وآراء كنفوشيوس في الأخلاق والسياسة، ولم يبين كذلك العَلاقة بين الأخلاق والعقيدة في الكنفوشية.

خطة البحث: تم تقسيم هذا البحث إلى مقدمة وأربعة مباحث وهي:

المبحث الأول: ملامح من الحالة الدينية والاجتماعية والسياسية في الصين إلى ظهور كونفوشيوس

المبحث الثاني: نشأة الكونفوشيوسية

المبحث الثالث: أهم عقائد الكونفوشية

المبحث الرابع: الأفكار الكونفوشية حول الأخلاق والفكر السياسي

المبحث الخامس: العلاقة بين الأخلاق والعقيدة في الدِّيانة الكنفوشية وموقف الإسلام منها.

المبحث الأول: ملامح من الحالة الدينية والاجتماعية والسياسية في الصين إلى ظهور كونفوشيوس

المطلب الأول: أهم ملامح الحالة الدينية في الصين قبل ظهور كونفوشيوس

إنَّ فكرة التدين لم تتأخر في جوهرها عن نشأة الإنسان، فنزعة التدين من صميم الفطرة الإنسانية، وما من أمة شرقا أو غربا إلا ولها عقائد[4]، ولا شك أنَّ الأمة الصينية من أقدم الأمم التي صاحبتها العقائد الدينية من أقدم العصور[5]، وسأقف عند بعض ملامح الحالة الدينية في الصين قبل كونفوشيوس **لنرى كيف تعامل معها واستثمرها في فلسفته الأخلاقية، ولنرى أيضا كيف أضاف تلاميذ كونفوشيوس هذه الاعتقادات مع أفكار أستاذهم مكونة الديانة الكونفوشة:**

أ- **فَحَوْلَ الآلهة:** آمن الصينيون أنَّ الظواهر الطبيعية المختلفة تتحرك وفق إرادة السماء، لكنهم لم يهتموا كثيرا بالبحث عن أصل الإنسان والكون والغاية من وجودهما، وما يميز الفكر الأسطوري الصيني عن غيره من كثير من أساطير الشعوب، هو تركيزه الكبير على الآلهة-السماء والأرواح ودورها في تنظيم وترتيب أرواح البشر- إذ آمن الصينيون بأنَّ الأرواح تسكن السماء، وبأن هناك دائما علاقات مستمرة بين هذه الأرواح والعالم المادي الطبيعي الذي يعيش فيه البشر، كما آمنوا بأن هناك علاقات لا تنقطع بين أرواح الأسلاف والأحياء من بني البشر، وآمن الصينيون بأن البشر يستطيعون معرفة ما تريده الآلهة والأرواح عن طريق السحرة والعرافيين فهم الوسطاء بينهم وبينها... أي إنهم ربطوا بين إرادة الأرواح وفعل الإنسان، ومن هذا الاعتقاد تكونت عادات وتقاليد وشعائر وطقوس تؤمِّن أفضل وسائل الاتصال بالأرواح لمعرفة رغباتها[6].

---

[4] انظر: دراز، **الدِّين بحوث ممهدة لدارسة تاريخ الأديان**، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 2013م، (ص:77).

[5] انظر: أيوب نور الحق، **الديانة الداوية** (ص:50).

[6] انظر: **الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة**: د. عمر عبد الحي (ص:58).

ب- **عبادة مظاهر الطبيعة:** وفي هذا السياق أشير إلى أنَّ عبادتهم لمظاهر الطبيعة وأرواحها كانت خوفا وطمعا، كالسماء والشمس والقمر؛ لذلك تعددت الآلهة عندهم وبالتالي تعددت المعبودات، واختص الملوك بعبادة آلهة السماء بينما يعبد الصينيون آلهة الأرض[7]. ولا شك أن تعدد الآلهة سيؤثر في تعدد الطباع والأمزجة والسمات التي يتصف بها الصيني.

ج-**عبادة السماء:** عبد الصينيون القدماء السماء باعتبارها الإله الأعظم، وحاكم الحكام ورب الأرباب، ولا يقصدون بها القبة الزرقاء المعروفة لنا، بل يقصدون بها الأفلاك ومداراتها والقوى المسيطرة عليها والتي تسيرها في مداراتها[8]، وكما أشرت سابقا فإن عبادة الإله الأعظم (السماء) وتقديم القرابين له أصبحت خاصة بالإمبراطور نائبا عن الشعب، فالسماء إله عظيم في نظرهم لا يتوجه إليه ولا يناجيه إلا العظماء بل أعظم العظماء في الدولة وهو الإمبراطور، وفي هذا يقول أحد حكماء الصين (لاو-تسو): "كما أنه من غير الممكن إبعاد الأسماك عن الماء دون أن تموت، كذلك من المستحيل أن تكشف أسرار الدولة أمام العامة دون أن تفسد الحال"[9]. "وكان الإمبراطور أو الحاكم يلقب ب "ابن السماء"[10].

د_**عبادة الأسلاف وأرواح الأجداد:** لم يكتف الصينيون القدماء بكل هذه الآلهة والعبادات فعبدوا أرواح أسلافهم التي مضت وقدموا لها الأضحيات طلبا لرضاها عنهم واستمدادا لعونها، وقد كانت هذه هي العبادة السهلة الميسورة لكل أفراد الشعب الصيني بل يقال بأنَّ هذا هو الدين الحقيقي لشعب الصين... **ولا زال شائعا إلى هذا العصر**، ولا يحرص الصيني على شيء حرصه على هذه العبادة"[11]، ويضاف إلى عبادة أرواح الأسلاف اعتقادهم بأن أرواح الأموات تنفصل عنهم بعد موتهم وتبقى في الدنيا مع أسرتهم؛ لذلك فهم يعبدون أرواح الآباء والأجداد؛ تقديسا لهم ووفاء لعهودهم وشكرا على ما أسدوا من

---

[7] عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة، فوزي حميد (ص: 222).

[8] المرجع السابق (ص221)

[9] حبيب سعيد، أديان العالم (118).

[10] فؤاد شبل، **حكمة الصين** (1/23-24).

[11] المرجع السابق (119-120)

نِعم لأبنائهم ويقدمون لهم القرابين [12]، وقد مارس الصينيون عبادة جدودهم على مدى تاريخهم كله وعلى نحو شبه عام... وهذا يفسر لنا زيارة القبور والطقوس المنزلية[13].

وبناء على ما سبق نقرر أنَّ للصينيين عقيدتان عامة وخاصة، وتتكون عقيدة العامة من عبادة أرواح الموتى من آباء وأجداد وتسمى "كوى"، ومن عبادة القوى الطبيعية من شمس وقمر ونجوم وتسمى شين"[14].

أما عقيدة الخاصة وهم (الملوك) فهي مخصوصة ومحصورة بعبادة السماء (شانج-تي) أي السلطان الأعظم، لما يعتقدونه من قوة كامنة فيها لها كل السلطان على الأرض وما فيها[15].

هـ. **ومن أهم المعتقدات عند الصينيين القدماء اعتقادهم أنَّ الأحداث الكونية تتبع الأخلاق التي تسود بين الناس وملوكهم، فكلما كان العدل والانسجام والفضيلة تسود بين الناس وتربط العلاقات بينهم برباط من المودة والرحمة، فالكون يسير في فلكه من غير اضطراب، أما إذا حاد الإنسان عن جادة الحق وابتعد عن السلوك القويم اضطرب الكون[16].**

و- موقفهم من القضاء والقدر والمصير بعد الموت والجزاء: كما هو معلوم أن الأخلاق الصينية هي محور الدائرة في الفكر الصيني القديم السابق لكونفوشيوس، ومقياس الخير والشر عندهم هو ما يرضي الأرواح أو ما يسخطها من أعمال أبنائهم، وكان الصينيون القدماء يؤمنون بالقضاء والقدر ويذعنون لأحكام السماء، ولكنهم كانوا يجعلون للإرادة الإنسانية الشأن الأول؛ لأن الإرادة الإنسانية للخير أو الشر لها أثرها في الكون على حسب عمل

[12] المرجع السابق (119-120)

[13] فيليسيان شالي **موجز تاريخ الأديان**، (ص:106).

[14] د.هالة أبو الفتوح، الأخلاق والسياسة، ((ص:31-32).

[15] محمد غلاب، الفلسفة الشرقية (ص:219 بتصرف).

[16] عالم **الأديان بين الأسطورة والحقيقة** ، فوزي حميد (223).

الإنسان إنْ خيرا فخير وإنْ شرا فشر، وأما أفعال السماء التي تكون حظا من غير عمل الإنسان فهي تقبل التغيير حسب عمل الإنسان"[17].

وفيما يتعلق بمصير الإنسان بعد الموت فكانوا يعتقدون أن للإنسان مصيرين بعد موته فالروح الصالحة تصعد إلى السماء وتصير إلها وتضم في جملة الآلهة، والأرواح الطالحة تدخل تحت الأرض[18].

أما فيما يتعلق بالجزاء والحساب والجنة والنار فالصينيون القدماء لا يعتقدون بهما، وإنما يعتقدون أنَّ الجزاء في الدنيا إنْ خيرا فخير وإنْ شرا فشر، وقد يتعدى جزاء شخص إلى أبنائه، كما سأبين بعد قليل.

المطلب الثاني: مَلامح من الحالة الاجتماعية والسياسية إلى ظهور كونفوشيوس

مشكلات الشعب أساسها السلطة الحاكمة التي تمارس بغير مبدأ أخلاقي

شهدت الفترة التي سبقت مجيء كونفوشيوس اضطرابات سياسية واجتماعية، حيث حصلت منافسات عنيفة بين الأمراء على السلطة، مما أدى لإهمال الأخلاق والآداب الصينية القديمة، والتفكك الاجتماعي، **ووصل سوء الأحول إلى أنَّ أناسا يئسوا من الإصلاح فلجئوا إلى الكهوف للزهد والتقشف والرهبنة، والهروب من ميدان الحياة، وأناساً آخرين** اشتغلوا بدراسة القوانين راجين إصلاح الأمر بالقانون، وفئة اشتغلوا بالحروب يريدون حل المشكلة بالحروب.

والخلاصة شهدت الفترة السابقة لكونفوشيوس فوضى سياسية وفكرية، وشهدت انحطاطا ثقافيا واضطرابا اجتماعيا[19]، ومن أهم المظاهر الاجتماعية والسياسية في الوقت الذي ظهر فيه كونفوشيوس[20]:

---

[17] عالم الأديان بين الاسطورة والحقيقة، فوزي حميد (224).

[18] أيوب نور الحق، **عقيدة الألوهية في الديانات الداوية** ، (ص:6-7).

[19] زهرة الدين طيب، **المعرفة الكبرى في الديانة الكونفوشية**، (ص:52-53).

[20] فؤاد شبل، **حكمة الصين** (26/1)، سليم المسلمي، **الكونفوشية** (24-27).

1- الغالبية العظمى من الحرفيين والفلاحيين يعملون كأرقاء لدى الارستقراطيين دون حقوق تكاد تُذكر.

2- يُعتبر عصر كونفوشيوس عصر التدهور الأخلاقي فكثير من الأسر دمرت بسبب افتقارها للأخلاق، إضافة لظهور قوى العنف البهيمية بسبب الصراعات على الملك إلى حد أنَّ جميع الفلاسفة الذين اشتغلوا بالسياسة العامة كانوا يجهدون أنفسهم في البحث عن علاج لهذا الوباء الفتاك[21].

ولا شك أن هذه الأحوال المزرية جعلت كونفوشيوس يفكر في "ضرورة استدعاء القيم الأخلاقيةالاجتماعية ذات الطابع العملي التي لا تحكم فقط علاقة الفرد بذاته بل علاقته بالآخرين في المحيط الاجتماعي الذي يحيا فيه"[22].

المبحث الثاني: نشأة الكونفوشيوسية

المطلب الأول: ظهور كونفوشيوس

ولد (كونغ فو سو) أي كونفوشيوس باللاتينية عام (551) قبل الميلاد بإمارة (لو)، وينتسب إلى أسرة عريقة فجده كان واليا على تلك الولاية، ووالده كان ضابطا حربيا، "وتذكر الروايات الصينية الكثير من الحكايات الأسطورية عن ولادته ومنها أنَّ الأرواح عطَّرت لأمِّه الكهف الذي ولدت فيه، كما تروي روايات أخرى أنَّه جاء من صلب غير بشري، وهذه الروايات تنطلق لتؤكد على تقدير الناس لهذا المفكر الكبير حتى القداسة"[23].

"وبنظرة عاجلة إلى التهيئة التي حاطت بها العناية ذلك الشاب، دم نبيل يسري في عروقه، وأسرة سامية ذات شهرة ومجد، وفقر شديد، تلك العوامل مجتمعة من شأنها أنْ تكوِّن في الشخص نزوعا إلى معالي الأمور من غير استعلاء، وذلك إذا صادفها مواهب عالية ونفس سامية فإن شعور المرء بمجد أسرته... من شأنه أن يجعل في المرء اتجاها إلى معالي

[22] حبيب سعد، أديان العالم الكبرى (ص:47).

[23] انظر: الفلسفة والفكر السياسي في الصين، عمر عبد الحي (155-156).

الأمور وتجافيا عن سفسافها وإن الحد من الرزق يوجد في نفس الشخص العطف والرفق بالضعفاء والتواضع ومحبة الناس"[24].

وفيما يتعلق بعقيدته: فهي لم تتجاوز عقيدة الصينيين القدماء، المتمثلة في السماء، والأرواح المسيطرة على ظواهر الأشياء وأرواح الآباء"[25] "، وكان يعترف بأنه دائما يعبد الإله الأعظم والآلهة الأخرى على غير معرفة بهم، ولم يكن يتثبت من حقيقة الآراء الدينية ويرى أن غاية الصلاة تنظيم سلوك الأفراد والتأليف فيما بينهم.

وفيما يتعلق بعلمه: "واصل كونفوشيوس طلب العلم حتى بلغ الثلاثين من عمره، عندئذ شعر وكأنه يقف على أرض ثابتة، وفي هذه المرحلة بدأ يتجول خارج مقاطعته حيث إنه كان شديد الطموح لإصلاح أوضاع بلاده، وقد رأى أنه في الإمكان الوصول إلى تحقيق نموذج الحكومة الصالحة في الواقع وذلك باتباع تعاليمه، إلا أنه أدرك أن ذلك لن يتحقق بدون توليه منصبا سياسيا يتمكن من خلاله من إخراج تعاليمه إلى حيز التنفيذ وهذا من أهم الأسباب التي جعلته يبحث عن حاكم يمنحه المنصب ليصلح المجتمع[26].

تلقى كونفوشيوس علومه الفلسفية على يد أستاذه الفيلسوف (لوتس) صاحب الديانة الطاوية،إذ كان يدعو إلى القناعة والتسامح المطلق، ولكن كونفوشيوس خالفه فيما بعد داعيا إلى مقابلة السيئة بمثلها وذلك إحقاقا للعدل[27].

مدرسته: "كانت مدرسته أول مدرسة حرة خاصة في التاريخ الصيني ففي سن الثانية والعشرين من عمره قرر كونفوشيوس الاشتغال بالتعليم واتخذ من بيته مدرسة وكان يدرس موضوعات التاريخ والشعر وآداب اللياقة والموسيقى بصفة خاصة، والتي كان يؤمن بتأثيرها الفعال في الصقل الأخير لشخصية الإنسان"[28].

---

[24] أبو زهرة، مقارنات الأديان (83-84).

[25] صلاح بسيوني، كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني (ص: 51).

[26] انظر: هالة أبو الفتوح، فلسفة الأخلاق والسياسة (ص:25).

[27] الموسوعة الميسرة، الندوة العالمية (748/2).

[28] صلاح بسيوني، كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني (ص: 45).

وُتنسب إلى كونفوشيوس عدة كتب وهي التي كتبها تلاميذه ومريدوه فهي أربعة كالتالي: (كتاب مختارات كونفوشيوس أو الحوارات وهو أهمها، فهو مجموعة آراء ونصائح لكونفوشيوس وتعاليم حول قيم الكمال الإنسانية. وكتاب العلم العظيم أو المعرفة الكبرى حول نظام الحكم، وكتاب عقيدة الوسط : وهو تعاليم حول ضرورة مراعاة الانسجام في الأمور كافة والبعد عن التطرف، وكتاب منشيوس ويحوي حكما وأمثالا لكونفوشيوس أو بعض تلاميذه مع شروح وحواشي وضعها منشيوس[29] وحمل منشيوس في هذا الكتاب على الملوك وطغيانهم وهذا طابع مؤلفات المدرسة الكونفوشية بأسرها[30] .

مات كونفوشيوس عام 479 ق.م، وقدسه أتباعه حتى عبدوه في عهد الإمبراطور الأول هان حوالي سنة 206 ق.م[31].

المطلب الثاني: الكونفوشية بعد كونفوشيوس:

بعد موت كونفوشيوس تفرق تلاميذه وأسسوا مدارس كونفوشية، وكان من أهمهم (منشيوس) و(هسون تسو) ويشكلان مع كونفوشيوس نوعا من الثاثوث المؤسس للكنفوشية، وقد اعتبرا بمثابة شراح لمذهب كونفوشيوس.

ويمثل هسون تسو ومنشيوس اتجاهين مختلفين في موضوع الفطرة الإنسانية بعد كونفوشيوس: حيث كان الأول يرى أنَّ الإنسان مفطور على الشر فطرة أصيلة، فيجب أنْ يقومها بأحكام الشريعة والقانون من فوق رؤوسهم جبرا وإكراها، والثاني يرى أنَّ الإنسان مفطور على الخير فطرة أصيلة، وما على الإنسان إلا أنْ يجليها من باطنه إلى خارجه برضاء النفس واختيارها دون الحاجة إلى عنصر الجبر والإكراه، وقد دارت مباحثات ومجادلات بين الاتجاهين مدة طويلة، والكل يقدم أدلته ليدحض الطرف الآخر، وكتب النجاح أخيرا للاتجاه الذي ذهب إلى خيرية الفطرة الإنسانية (والطريقة الصحية لمعرفة الفطرة الخيرة هي استقصاء

[29] أسعد الحمراني (الشنتوية، الكونفوشية)، (ص:62).

[30] محمد غلاب، الفلسفة الشرقية (ص: 278–ص: 279)؟

[31] سهير القلماوي وآخرون وآخرون، هداة الإنسانية في الشرق، (ص121–ص:122).

حقائق الأمور بقلبه) وهو رأي منشيوس، وصار هذا الاتجاه يمثل الرأي الصحيح للدين الكونفوشي في هذه القضية وحُكِم على رأي هسون بأنه رأي منحرف عن الأصالة الكونفوشية[32]، يقول كونفوشيوس: "إنَّ الناس يولدون خيريين سواسية بطبيعتهم، ولكنهم كلما شبوا اختلف الواحد منهم عن الآخر، تدريجيا وفق ما يكتسب من عادات"[33].

المبحث الثالث: أهم عقائد الديانة الكونفوشية

المطلب الأول: عقيدتهم في الإله وعبادتهم للسماء(تيان)

يمكن تحديد عقيدة الكونفوشية على الوجه التالي: "إنَّ الديانة التي اعتقدها كونفوشيوس والتي كانت سائدة في أيامه، على الرغم من الاضطراب الفكري والديني والفلسفي، الذي كان سائد آنذاك، كانت قائمة أولا على عبادة السماء باعتبارها الإله الأعظم وحاكم الحكام أو رب الأرباب، ثم عبادة الأرض؛ لأن الأرض هي الأخرى إله، ثم عبادة أرواح الأجداد، ثم عبادة الجبال والأنهار"[34].

ومن معبودات الدين الكونفوشي قوى الكون الطبيعية مثل الشمس والقمر والنجوم والكواكب الأخرى والسحاب والمطر والجبال والأنهار وما شاكلها من الكائنات التي عبدها الصينيون واعتقدوا أنها تساعدهم في تسيير حياتهم"[35] .

ويتحدث كونفوشيوس في فقرات عديدة في كتابه الحوار عن السماء معبود الصين الرئيسي وأسموها في الكتب القديمة بالملك والملك العلي، أما عند كونفوشيوس فيشير مصطلح السماء إلى قوة كونية معنوية غامضة لا تقهر، وهو بهذا يرفض النظر إليها باعتبارها كائنا بشرياً، بل يشير إليها في موضع آخر بالإرادة القاهرة، باعتبارها كياناً عظيماً يتمتع ويخضع كل شيء في الكون لمشيئة السماء، وكانت السماء بالنسبة له المرفأ الأخير الذي

---

[32] زهرة الدين، كتاب المعرفة الكبرى في الديانة الكونفوشية (ص:143).

[33] كتاب الطقوس فصل: 32.

[34] حسن شحاته، كونفوشيوس النبي الصيني ، (ص:122).

[35] صلاح بسيوني، كونفوشيوس رائد الفكر الإنساني (ص: 106).

يلجأ إليه عندما يصيبه اليأس والإحباط من البشر ويتعذر عليهم فهم تعاليمه ومبادئه وكان يردد دائماً: ولكن السماء تفهمني[36].

ولكن كونفوشيوس أظهر من ناحية أخرى تحسره؛ لأنَّ السماء لا يُعتمد عليها، بدليل أنَّ الأشرار كثيرا ما ينجحون ويوفقون ويزدادون غنى وثروة، في حين تبوء جهود الأخيار بالفشل أحيانا[37] .

"ولا يقصد بالسماء المعبودة تلك القبة الزرقاء، بل يقصدون تلك الأفلاك ومداراتها والقوى المسيطرة التي تسيطر عليها وتسيرها في مداراتها، وباتصالها بالأرض، وبالأمطار والرياح وغير ذلك، وكانت عبادتهم للسماء لأنهم يعتقدون عالم حي متحرك حسب نظام دقيق محكم وإن كل ما في العالم من قوى مسيرة إنما هو خاضع لسلطان السماء"[38].

المطلب الثاني: موقف الكونفوشية من النبوة

ورد في كتاب التوسط: "إن الصِّديق يصيب دون جهد ويحصَّل دون تفكير، وهو يمشي متمكنا على طريقة التوسط فذلك هو النبي"، وورد في كتاب منشيوس: "إنما النبي من تمم الأخلاق والمعاملات الإنسانية"[39]، وورد في سفر الشريعة: "واضعها أي الشريعة والموسيقى يسمى نبياً، ومخبرها يسمى عارفا"[40]

ومن مجموع هذه النصوص نلاحظ أن النبي في مفهومهم هو من يولد عارفاً، أو من تمَّم الأخلاق والمعاملات، أو هو واضع الشريعة والموسيقى أو من جمع بين الحكمة القولية والعملية، أو من يرشد الناس ويمضي الحق عليهم، او هو من يُخْبر عن "تيان" إله السماء، وعلى هذا فإن صفات النبي عندهم قريبة من صفات النبي في الإسلام، لكن لا يوجد نص

[36] الفكر الصيني ترجمة عبد الحليم سليم، (ص:55).

[37] صلاح بسيوني، كونفوشيوس رائد الفكر الغنساني، (ص: 104).

[38] محمد أبو زهرة، مقارنات الأديان، (ص: 72).

[39] كتاب منشيوس الفصل السابع.

[40] سفر الشريعة، فصل وصف الموسيقى.

فيما نسب إلى كونفوشيوس أنه أعلن أنه نبي مرسل بل نفى ذلك، وإنْ زعم بعض معاصريه وتلاميذه ذلك.

والخلاصة أن الكونفوشية ترى أنَّ المعرفة تؤخذ من قلب النبي وفطرته المجبولة على الخير ولا تؤخذ من الوحي الواضح.

لكن مكانة كونفوشيوس أخذت تتعاظم بعد موته يوما بعد يوم، حتى صار أعظم الأنبياء في تاريخ الصينيين في نظرهم.

المطلب الثالث: الطقوس في الكنفوشية

يعبدون القوى المسيطرة على الأشياء الموكلة بها، لأنهم يعتقدون أن لكل شيء قوة تسيطر عليه وتسيره، وهي كثيرة: فللشمس قوة تسيرها، وكذلك القمر وكذلك السحاب...وهذه القوى جميعا يعبدها الصينيون، وقوى الأرض لا يعبدها الملوك، بل يعبدون القوى الخاصة بكواكب السماء[41]

أما عبادة الأرواح فلم تغب قط عن بلاد الصين[42]

وفيما يتعلق بعقيدة اليوم الآخر لم يؤمن الصينيون القدماء بجنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب وتبع كونفوشيوس هذه العقيدة[43] ولم يفكر بالحياة بعد الموت وكان كل همه إصلاح الحياة الدنيا، ويعتقد أن الجزاء في الدنيا إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، ولا يسأل عن مصير الأرواح بعد خروجها من الجسد، وإنما يعتقد أن الأرواح تبقى في الدنيا تعيش مع أفراد أسرتها في الغيب.

[41] حسن سعفان، الكتب الخمسة الخاصة بكنفوشيوس (ص:33).

[42] أديان العالم، حبيب سعيد (ص: 119).

[43] سلم المسلمي، الكونفوشية (ص:187).

وأشير هنا إلى أنَّ ما سبق من اعتقادات في الديانة الكونفوشية أكَّده لي دكتور كونفوشي تم استضافته في كلية الشريعة في الجامعة الأردنية يوم الأربعاء بتاريخ 9/ 2016/3، فالإله عندهم قوة مجهولة، ولا نبوة عندهم، ولا يوم آخر للحساب والثواب، إضافة لخلط لعادات وتقاليد الآباء والأجداد بأفكار كونفوشيوس.

المبحث الرابع: أهم الأفكار الكونفوشية حول الأخلاق والفكر السياسي

الأخلاق هي محور الفلسفة وأساس الدِّين لدى الكونفوشيوسية كما أشرت سابقاً، وهي الأمر الأساسي الذي تدعو إليه، وتسعى إليه بتربية الوازع الداخلي لدى الفرد ليشعر بالانسجام الذي يسيطر على حالته النفسية مما يخضعها للقوانين الاجتماعية والقانونية بشكل تلقائي، **وتعتبر الكونفوشية مذهبا إصلاحيا للأخلاق والسياسة والمجتمع**، وترى الكونفوشية أن الرجال العظماء لا بد لهم من ثلاثة قوانين يصنعون عليها.

وأذكِّر هنا أن كونفوشيوس أثر فيه ما رآه من تدن للأخلاق عند قومه، وفساد في السياسة وتفكك في المجتمع، فأراد أنْ يَعوْدَ بقومه للأخلاق الفاضلة، فكان له مبادىء وأصول في الأخلاق والمجتمع والسياسة وفيما يأتي توضيح لها[44].

المطلب الأول: مبادىء الأخلاق الكونفوشية

أ- **إنسانية الأخلاق:** لعل أبلغ وصف للأخلاق الكونفوشية بأنَّها إنسانية الطابع "فالإنسان فيها مقياس للإنسان"، فالمثالية عند كونفوشيوس مشتقة من طبيعة الإنسان ذاتها، وهي مبنية على تحليل للطبيعة البشرية، ولذلك فهي لا تقوم على افتراض عالم آخر يلقى فيه الإنسان الثواب أو العقاب جزاء على أفعاله،إنما تنظر للإنسان ككائن اجتماعي ينبغي أنْ يعيش حياة سعيدة مع غيره من البشر"[45].

[44] الخطيب، **مقارنة الأديان**، ص450.

[45] كتاب الطقوس ف32

وعلى الرغم من قوة المعتقد الديني لدى كونفوشيوس، إلا أنَّه لم يتخذه أساسا لفكره، خاصة الفكر الأخلاقي منه، **وإنما آثر فصل الأخلاق عن عالم الغيب**، وصرف الأنظار عن خوارق الطبيعة والغيبيات، وأعطى في مقابل ذلك اهتماما أكبر للعالم الدنيوي، ولمشكلات المجتمع البشري الجوهرية، ووضع أخلاقياته على أساس طبيعة المجتمع والإنسان، واعتبرهما مصدر المثل العليا والمعايير الأخلاقية، يقول كونفوشيوس في هذا السياق: "إنَّ الطريق الصحيح أو قاعدة السلوك السليم التي على الأفراد اتباعها ليست بعيدة عنهم، لأنَّ الأفراد إذا استنوا قاعدة للسلوك بعيدة عنهم، فمعنى ذلك أنها لا تتفق وطبيعتهم الإنسانية، وكل قاعدة للسلوك الأخلاقي تتنافى مع الطبيعة الإنسانية يجب استبعادها وعدم الأخذ بها[46]، ويقول: "إنَّ الإنسان هو الذي يجعل الصدق عظيما وليس الصدق هو الذي يجعل الإنسان عظيما، فالإنسان إذن هو مصدر القيم، ومقياس الأخلاق الفاضلة، والذي يجعل الناس مقاييس ومعايير بعضهم لبعض هو أنَّ الطبيعة الإنسانية وما تتميز به من عواطف وأفكار ومشاعر وانفعالات واحدة في كل فرد من أفراد النوع الإنساني، وبناء على وجود الطبيعة الإنسانية الواحدة في كل فرد من الأفراد يجب على " الإنسان أنْ لا يعامل الناس بما لا يرضى أنْ يُعامل به"[47]، وهو ما يسمى مبدأ التبادلية.

ب- **تطابق الأسماء مع مسمياتها**: الأصل الذي بدأ به كونفوشيوس والذي يرى أنَّ الفضائل تقوم عليه وجوب تعيين المعنى أو اللفظ، أو تطابق الأسماء مع مسمياتها، فإنَّ اللعب بالألفاظ يوهن الأخلاق ويؤدي لفساد الاعتقاد والعبث بكل ما هو فاضل، يقول كونفوشيوس: " إذا لم تكن الأسماء صحيحة لا يوافق الكلام حقائق الأشياء، وإذا لم يكن الكلام موافقا للحقائق وقع الخلط في اللغة وفسدت الأمور، فلا تزدهر الآداب ولا الموسيقى، ويضطرب التفكير ولا تنزل العقوبات على من لا يستحقها... والرجل الكامل الخلق لا يستهين بكلامه ولا يُهملُ في تعبيره"[48].

---

[46] كتاب الطقوس، الانسجام المركزي، الفصل 13.

[47] كتاب الحوار (12/12)

[48] الديانات القديمة ،محمد أبو زهرة (ص: 76-78 بتصرف).

وفي الحقيقة أتفق على مع ما ذكره كونفوشيوس من خطورة هذه القضية خاصة في واقعنا المعاصر حيث أضحينا نسمع مصطلحات غربية مموهة فالربا أصبح فائدة، والخمر مشروبات روحية، والجهاد أصبح إرهابا، والرقص والغناء أصبح فنا، فلا بد من يقظة وانتباه للمصطلحات التي يُخدع بها بعض الناس.

ت- **الفضيلة ويقظة الضمير**: ترى الكونفوشية أنَّ الفضيلة من كمال إنساني فلا يطلبها من أجل جلب منفعة أو دفع مضرة وعلى الإنسان أن يراقب نفسه وُيلاحظ البواعث على أفعالها كي يكون مخلصا في عمله، وإذا تمسك الإنسان بالفضيلة هان عليه كل شاق، ولا تقتصر الفضيلة عند الكونفوشية على المعرفة، فقط بل المعرفة طريق إلى الفضيلة والاطمئنان، وهذا الاطمئنان العميق في المشاعر يؤدي إلى العمل بالحق وهو ما تعبر عنه الكونفوشية ب "لي" أي السلوك الصحيح، أو القانون الأخلاقي الذي يشمل الذي يشمل جميع العادات الحسنة والسنن الاجتماعية والشرائع السياسية، وهذا القانون الأخلاقي "يفرض على الأفراد أربع فضائل رئيسة فيجب على الولد أن يطيع والده ويخضع له، ويجب على كل فرد أن يطيع الحاكم وأن ينقاد له، وعلى الأخ الصغير أن يطيع أخاه الأكبر، وعلى الأصدقاء أن يعاملوا بعضهم بعضا بإخلاص"[49].

ث- **تبادل المعاملة**: ويقضي هذا المبدأ بأنْ "لا تعامل الناس بما لا ترضى أنْ تُعاملَ به"[50]، ولكنَّ العدالة عند كونفوشيوس لا تعني مقابلة الشر بالخير، أو مجازاة الإساءة بالإحسان، بل تقتضي مجازاة الإساءة بالعدل، والإحسان بالإحسان.

ج- **الوسط والانسجام**: الوسط والانسجام عند كونفوشيوس هما نقطة الذروة في الطبيعة الإنسانية، إذ أن هذه الطبيعة تتألف من قسمين: النفس أو الذات، والأحاسيس أو المشاعر والانفعالات، وعندما لا تنتبه الانفعالات مثل الغضب والحزن أو الفرح لحد الاعتدال والوسط

[49] كونفوشيوس النبي الصيني، حسن سعفان، (ص:34).

[50] كتاب الحوار(154/15).

لا يُقال إن النفس في حالة انسجام، وعندما لا تتجاوز هذه الانفعالات الحد المعتدل يقال عن النفس إنها في حالة انسجام، فالوسط والانسجام والاعتدال هو الأصل العام.

وحينما يبلغ الاعتدال والوسط غايتهما ويتحققان يسود الاستقرار الكامل في السماء وعلى الأرض، وتأخذ الأشياء حقها كاملا، ويمكننا القول هنا إن كونفوشيوس لجأ إلى الحد الأوسط لتحديد الفضائل الخلقية، فالفضيلة عنده اختيار الوسط بين رذيلتين متضادتين، فالشجاعة وسط بين التهور والجبن، والكرم وسط بين التبذير والبخل، والتواضع وسط بين الخجل وانعدام الحياء.

المطلب الثاني: آراء كونفوشيوس في السياسة[51]

اهتم كونفوشيوس بالسياسة اهتماماً بالغاً؛ لأنَّ السياسي الذي يصل للحكم يملك القرار لتطبيق المبادىء والأخلاق التي يدعو إليها، ولذلك بذل جهودا مُضنية ليصل للحكم، كما أنه جاب الصين شمالا وجنوبا ليقنع أمراء المقاطعات بأفكاره الأخلاقية، فكونفوشيوس ركز على اقتران السياسة بالأخلاق، وهو يرى أن السياسة الحكيمة هي التي تقوم على الأخلاق القويمة، فليست منفصلة أبدا عن الأخلاق، ويرى أن من يفصل السياسة عن الأخلاق فهو لم يفهم الغاية من السياسة، ولا الغاية من الأخلاق، فالغاية من السياسة إصلاح الأخلاق، ونظرا لأهمية السياسة في فلسفة كونفوشيوس الأخلاقية قام بوضع مبادىء للحكيم الصالح ألخصها فيما يأتي:

-الإخلاص: وذلك بأن يكون الحاكم القدوة الحسنة، فهو يرى أن الملوك يؤثرون بأخلاقهم أكثر مما يؤثرون بقوانينهم، ولذلك يجعل أساس إصلاح أخلاق الناس أن يكون حاكمهم ذو أخلاق، وهو يعتقد أن تحلي الحكام بالأخلاق الفاضلة ليس أساس إصلاح العامة فقط، بل أساس طاعتهم أيضا، فالناس لا تطيع إلا من ترى فيه الاستقامة والمحافظة على الآداب.

[51] انظر في هذا المبحث المرجع السابق،(ص: 468-446).

– اختيار الصالحين لشغل المناصب العامة: وفائدة ذلك أنْ يستقيم المعوج، وتطيع الرعية حاكمها، ولا حاجة لحكم الإعدام، أما إذا استعمل الحاكم المعوجون عصت الرعية حاكمها.

– احترام الناس للقيم الأخلاقية: فإذا حدث ذلك تحقق النظام، لأن النظام لا يمكن أن يتم عن طريق الخوف من عقوبات الحكام.

– ثقة الناس بالحكام: ولأهمية هذا المبدأ بين كونفوشيوس أنه يمكن الاستغناء عن العتاد الحربي والطعام، لكن لا يمكن أنْ يستغني مطلقا عن ثقة الناس بحكامهم.

– تقيد الحكام بمبدأ الاستماع لشعوبهم: يرى كونفوشيوس أن هناك اتصال وثيق ومستمر بين السماء والشعب، فما يراه الشعب جديرا بالثواب والعقاب هو ما تراه السماء كذلك، ومن ثم فعلى من يديرون شؤون الشعب أنْ يرعوا ذلك ويتدبروه

– الحكم عن طريق الفضيلة: فمفهوم كونفوشيوس عن الحكم هو مفهوم نظام أخلاقي، فعندما يتصرف كل الأفراد على نحو أخلاقي في علاقاتهم كافة مع الأشخاص الآخرين، لن تكون هناك مشكلات اجتماعية، فلتحقيق السلام العالمي فإنه من الضروري إعادة النشاط إلى قلب المرء ورعاية حياته الشخصية وتنظيم حياته العائلية على نحو سليم، وعندما ينشأ الأطفال في جو من الحب والاحترام سيتوفر لديهم نموذج يطورون على أساسه شعورهم بالحب والاحترام، هناك يرى الأطفال والديهم وهما يحترمان الكبار الآخرين، والمناصب، والمسؤولين الحكوميين، والأخلاق والقانون، وعليه فإن دراسة الحكومة ينبغي أن تبدأ من البشر، لا من المؤسسات لأن الحكومة في النهاية تستهدف مصلحة الفرد)[52].

[52] انظر: د. محمد الخطيب، مقارنة الأديان: (ص:462).

المبحث الخامس: العلاقة بين الأخلاق والعقيدة في الديانة الكنفوشية وموقف الإسلام منها

المطلب الأول: أهم العقائد التي ربطتها الكنفوشية بالأخلاق

لم يربط كونفوشيوس الأخلاق بالمعتقدات الصينية القديمة، حيث يغلب على القانون الأخلاقي عند كونفوشيوس الطابع العلماني الدنيوي لا الديني، وهو لا يستند إلى خلفية دينية سوى الافتراض العام أنَّ اتباع هذا النظام الأخلاقي يسير الإنسان في طريق السماء[53].

ولا بد هنا من طرح السؤال التالي: ما أسباب نجاح الفكر الكونفوشي في السيطرة على الفكر الصيني منذ 2500 عام؟

أجاب الباحثون عن ذلك بعدة أسباب هي:

-طبيعة الفكر الصيني فهو فكر عملي لا يقف عند حدود الاستقامة اللفظية والصحة العقلية للصيغ، بل يعبأ بالواقع وإمكانية التطبيق الحقيقي خلافا للفكر اليوناني النظري الخيالي[54].

-الأفكار التي أتى بها كونفوشيوس معبرة أصدق تعبير عن نفسية المجتمع الصيني مما إلى وجود تجاوب ازداد شدة على مر العصور إضافة للتراث العلمي الضخم الذي تركه كونفوشيوس وتلاميذه عن التاريخ الصيني وهو ما أهملته المدارس الفلسفية الأخرى.

-الأخلاق الشخصية التي تحلى بها كونفوشيوس نفسه، فهو من الشخصيات التي ترك أصحابها طابعا قويا كان له أثره على الأجيال المتعاقبة[55].

ويضاف إلى ما سبق ذكره ربط أتباع كونفوشيوس من بعده للأخلاق بالمعتقدات الصينية القديمة، يقول د. محمد أبو زهرة:

---

[53] خليفة، محمد، **تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة**، دار الثقافة العربيةن ط1، 2002م، ص122.

[54] محمد الشرقاوي، الفكر الأخلاقي دراسة مقارنة (ص:52).

[55] حسن شحاته، كونفوشيوس النبي الصيني (ص:14).

"والذي نلاحظه على الفلسفة الصينية أنها اتصلت بالدِّين وامتزجت به امتزاجا تاما... فالفلسفة الصينية قامت على تنظيم السلوك الإنساني، وإصلاح الأخلاق العملية، وهنا التقت بدينهم من ناحة ما كان يدعو إليه من حسن المعاملة بين الناس، فاتخذوا الأخلاق الفاضلة مذهبا في السلوك القويم، ودينا تدعو إليه الآلهة في زعمهم، فكان للأخلاق دعامتان قويتان: إحداهما قائمة على الفلسفة والعقل والمنطق، وثانيتهما قامت على دينهم، وبهذا تقاربت فلسفتهم ودينهم على إقامة بنيان قوي من الأخلاق وسلوك الناس"[56]، فالأخلاق محور الفلسفة، وأساس الدِّين لدى الكنفوشية"[57].

ومن أهم المعتقدات عند الصينيين القدماء التي ترتبط بالأخلاق:

– اعتقادهم أنَّ الأحداث الكونية تتبع الأخلاق التي تسود بين الناس وملوكهم، فكلما كان العدل والانسجام والفضيلة تسود بين الناس، وتربط العلاقات بينهم برباط من المودة والرحمة فالكون يسير في فلكه من غير اضطراب، أما إذا حاد الإنسان عن جادة الحق، وابتعد عن السلوك القويم اضطرب الكون؛ لمخالفة القانون الأخلاقي، وما الزلازل وخسوف القمر إلا أمارات لفساد خُلقي، وإذا كان السلوك غير القويم يُحدث الاضطراب والقحط، فالسلوك القويم يجلب الخير والبركات،ويجعل كل ما في الكون يجيء على رغبة الإنسان[58].

فالعالم محكوم بقوانين لا تقبل التخلف، قوامها التآلف والانسجام بين أجزائه، فالسماء والأرض والإنسان قد ارتبط ثلاثتها بنظام محكم ، وبقوانين مؤلفة بينها، وبإمكان الإنسان معرفة هذه القوانين، وإنَّ الشر كل الشر أنْ يكون في تصرفات الإنسان ما يحيد به عن النظام المؤتلف بين الإنسان والأكوان، وذلك بأن يرتكب من الشر ما يكون سببا في أن تنزل السماء عذابا؛ ولذلك فارتكاب الإنسان للفضيلة هو ما يجعله مؤتلفا مع نظام السماوات والأرض[59].

---

[56] أبو زهرة، محمد، **مقارنات الأديان الديانات القديمة**، دار الفكر العربي، ط1، 2006م، ص67.

[57] الشهراني، ناصر، **الكونفوشية**، ص 284.

[58] عالم الاديان بين الأسطورة والحقيقة ، فوزي حميد (223).

[59] انظر: أبو زهرة، **الديانات القديمة**، ص78.

– وكان الصينيون القدماء يؤمنون بالقضاء والقدر ويذعنون لأحكام السماء، ولكنهم كانوا يجعلون للإرادة الإنسانية الشأن الأول، لأنَّ الإرادة الإنسانية للخير أو الشر لها أثرها في الكون على حسب عمل الإنسان إنْ خيرا فخير وإنْ شرا فشر، وأما أفعال السماء التي تكون حظا من غير عمل الإنسان فهي تقبل التغيير حسب عمل الإنسان"[60].

– ومن معتقدات الصينين أيضا التي ترتبط بالأخلاق:"أنَّ عبادة أرواح الموتى والأجداد في المعبد الخاص بذلك من شأنها أنْ تؤكد الصلة بين الأجداد والآباء والأبناء، وتولد الشفقة والعطف بين أفراد الأسرة الواحدة... ولا يعتقدون بالبعث، ولا بالجنة أو النار، فالجزاء والثواب إنما يكونان في الدنيا إنْ خيراً فخير وإنْ شرا فشر، لذا فإنْ تكاثرت الآثام والذنوب كان عقاب السماء لهم بالزلالزل والبراكين"[61].

المطلب الثاني: موقف الإسلام من ربط الأخلاق بالعقيدة في الدِّيانة الكنفوشية.

بينت في المطلب السابق أن فلسفة كونفوشيوس جوهرها الأخلاق، لكنه لم يربط هذا الجانب المهم بالعقيدة، بل اعتمد على الفطرة الإنسانية؛ لأنَّ الإنسان مفطور على الخير، وعليه فهو يتطلع إلى التخلق بالأخلاق؛ لأنها فطرته، ورجوعا إلى فطرته الأصيلة، وبالتالي لا يحتاج إلى مصدر خارجي يلزمه على الالتزام بالأخلاق الفاضلة؛ لأنه لم يطلب شيئا غير موجود في فطرته، فكنفوشيوس لا يؤمن بالوحي المنزل من خارج الإنسان لسيتمد منه فلسفته الاخلاقية، ولا يجعل الإيمان بالإله مصدرا للإلزام الأخلاقي.

ومما يرد به على ما سبق أنَّ الفلسفة المبنية على الفطرة فقط لا تكفي وحدها لأنْ تجعل الإنسان يلتزم بالأخلاق، فالإيمان الجازم بالله تعالى هو المنبع القوي والسليم لجميع الفضائل، والمصدر الفعال للأخلاق الفاضلة[62].

---

[60] عالم الأديان بين الاسطورة والحقيقة، فوزي حميد (224).

[61] السحمراني، أسعد، **الشنتوية والكنفوشية**، ص70–72.

[62] الشهراني، ناصر، **الكونفوشية، حاضرها ومستقبلها**، ص 389.

وقد رد الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن على فصل الأخلاق عن مصدرها الدِّيني بأنَّ الأخلاق إذا بُنيت على أساس نفعي لم يكن لها سند روحي أصبحت أخلاقا نفسية لا روح فيها، والأخلاق بلا روح كلا أخلاق، وأما إذا بنيت على دين وضعي كالكنفوشية فهي أخلاق قاصرة؛ لأنها مبنية على دين ليس له شاهد إلهي، والدِّين الذي ليس له شاهد إلهي كلا دين فلا تنفع روحانية الإنسان[63].

وفيما يتعلق بإنكار كونفوشيوس وتلاميذه لعقيدة الثواب والعقاب في اليوم الآخر وقصر الجزاء على العالم الدنيوي فلا شك أن ذلك لا يحقق العدالة، فكم من ظالم مات دون أن يأخذ عقابه في الدنيا؟ وكم من مظلوم مات ولم يأخذ حقه في الدنيا؟ مما يجعل النظام الأخلاقي في الكنفوشية مقرا للظلم وعدم تحقيق العدل، في حين إنَّ عقيدة اليوم الآخر تعد الدَّافع الأكبر لربط السلوك الإنساني بالأخلاق.

ومما يدل على عدم نجاح فلسفة كونفوشيوس الأخلاقية وحدها دون رطها بالعقيدة ما قام به تلاميذ كونفوشيوس من ربط للأخلاق بالمعتقدات الصينية، فكما أشرت سابقا جعلوا الأحداث الكونية من زلالزل وبراكين، أو رخاء وسعادة مرتبطة بالسلوك الإنساني، وفي الحقيقة حتى لو حقق هذا الربط بعض النجاحات في تطبيق الأخلاق فإنه لن يكون على الإطلاق بمستوى أو قوة نجاح الالتزام بتطبيق الأخلاق المرتبطة بالإيمان بالله تعالى الرقيب الشهيد على كل شي سبحانه، والمرتبطة بعقيدة اليوم الآخر والتي يجزى الإنسان فيها على ما قدَّم في حياته حتى لو كان مثقال ذرة، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ (الزلزلة: 7-8).

[63] انظر: عبد الرحمن، طه، **بؤس الدهرانية، النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين**،الشبكة العربية، بيروت، ط1، 2014م، ص107.

الخاتمة

أولاً: النتائج: توصل الباحث في نهاية البحث إلى النتائج الآتية:

1. **ركَّزت** الديانة الكنفوشية على الجانب الأخلاقي لأهميته في تحقيق السعادة الإنسانية.
2. لم يربط كونفوشيوس عموما فلسفته الأخلاقية بالدِّين والمعتقدات الصينية.
3. مزجت الكونفوشية بين الفلسفة الأخلاقية والمعتقدات الصينية القديمة، من خلال تلاميذ كونفوشيوس، وخاصة ما له عَلاقة بالأخلاق منها.
4. من أهم المعتقدات التي ربطها تلاميذ كونفوشيوس بالأخلاق الأحداث الكونية، حيث جعلوها تابعة للأخلاق، فالزلالزل والبراكين والأمراض سببها عندهم سوء الأخلاق، والخير والصحة والسعادة سببها حسن الأخلاق.
5. إن ما حققته الكونفوشية من بعض النجاح في الالتزام الأخلاقي بسبب ربطها للأخلاق بالمعتقدات الكونفوشية لن يكون على الإطلاق بمستوى النجاح الذي يحققه ربط الاخلاق بعقيدة الإيمان بالله تعالى وعقيدة اليوم الآخر.

ثانياً: التوصيات:

-يوصي الباحث بدراسة معاصرة لأثر الكونفوشية في الالتزام الأخلاقي في الصين.

- التحديات المعاصرة التي تواجه الفلسفة الأخلاقية في الكنفوشية.

قائمة المصادر والمراجع:

أبو زهرة، محمد، **مقارنات الأديان الديانات القديمة**، دار الفكر العربي، ط1، 2006م

أبو زهرة، محمد، **مقارنات الأديان الديانات القديمة**، دار الفكر العربي، ط1، 2006م

خليفة، محمد، **تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة**، دار الثقافة العربيةن ط1، 2002م، ص122.

خليفة، محمد، **تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة**، دار الثقافة العربيةن ط1، 2002م

دراز، **الدِّين بحوث ممهدة لدارسة تاريخ الأديان**، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 2013م

الشهراني، ناصر، **الكونفوشيوسية، ماضيها حاضرها، موقف الإسلام منها**. مركز الملك فيصل للبحوث، ط1، 1432هـ،

الشهراني، ناصر، **الكونفوشيوسية، ماضيها حاضرها، موقف الإسلام منها**. مركز الملك فيصل للبحوث، ط1، 1432هـ،

عبد الرحمن، طه، **بؤس الدهرانية، النقد الائتماني لفصل الأخلاق عن الدين**،الشبكة العربية، بيروت، ط1، 2014م،

فؤاد محمد شبل: **حكمة الصين دراسة تحليلية لمعالم الفكر الصينى منذ اقدم العصور، دار المعارف، ط1، 1998م**،

مانع الجهني، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، ط5، دار الندوة العالمية، السعودية، 2003م،